جامعة تلمسان

كلية العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية

قسم العلوم الاجتماعية

شعبة علم الاجتماع

السنة الثانية –ليسانس-

مقياس علم الاجتماع في الجزائر-السداسي الثاني-

المحور الأول: ظروف نشأة وتطور علم الاجتماع في الجزائر

**المرحلة الثانية: مأسسة علم الاجتماع-من1963 إلى غاية 1970م.**

يمكن التطرق إلى السوسيولوجيا في هذه الفترة من زاويتين أساسيتين هما : وزن الأطر الإيديولوجية من جهة، وتأثير هذه الأخيرة على السوسيولوجيا كممارسة من جهة أخرى.

**1-ثقل وزن الأطر الايديولوجية:**

بعد الاستقلال اعتبر النظام السياسي الجزائري تخصصات الأثنولوجيا والأنثربولوجيا علوما استعمارية لا نحتاجها، بل تتناقض والتوجه الايديولوجي الجديد وبالتالي سيتم منعها من التدريس في الجامعة الجزائرية-جامعة الجزائر العاصمة- الجامعة الوحيدة آنذاك، وان تم التسامح بعض الشيء مع علم الاجتماع، فقد كان مرهونا بإفراغ محتواه النقدي بخصوص ما هو اجتماعي، ومنذ ذلك الحين ستشهد السوسيولوجيا في الجامعة تطورا أداتيا بوجهين اثنين هما : أن تكون القاطرة لنقل محتوى الخطاب السياسي للشعب، ومن جهة أخرى لإضفاء شرعية التوجهات الاجتماعية والاقتصادية للسلطة الجزائرية.

لقد سلكت الجامعة آنذاك مسلكا متباينا واهتمامات المجتمع، مما دفع بمجلة الجامعة إلى التساؤل الآتي: إلى ماذا كانت تهدف شهادة الليسانس في علم الاجتماع الموروثة عن العهد الاستعماري؟ إن البرنامج في النظام القديم كان غير مطلع على المشاكل الحقيقة للمجتمع، تلك المشاكل التي لم تجد لها مكانا في محتواه، الأمر الذي دفع بصناع القرار إلى الإعلان عن الفصل المأساوي بين المهمة الواجب تحقيقها والقدرات المهنية لهؤلاء المتخرجين.

إن في ثنايا هذه المقولة نظريا فكرة أن الإطار الذي يتكون في مجتمع لا يحمل طابعه المميز يصبح إطارا أجنبيا عنه، وبالتالي يصعب عليه فهمه. إنها محاولة رفض واقع جامعي كان في خدمة المستعمر، إذ كان البرنامج يعبر عن مصالحه ومن ثم يحاول تكريس هيمنته الإيديولوجية والثقافية...لازلنا نلاحظ أن اتجاهاته التعليمية لازالت تعطى من الزاوية الاستعمارية وبمناهج تلك المرحلة.

كان الدور المنوط بالمهتمين بالسوسيولوجيا يومها واضحا للغاية، فمن جهة كان الأمر بالنسبة لعلماء الاجتماع هو دعم بناء دولة قوية تستند على مأسسة الحزب الواحد بحجة حماية الوحدة الوطنية وبالتالي استبعاد أي شكل من أشكال التعبير الحر والنقدي خارج هذا الإطار، ليصبح عالم الاجتماع هنا بمثابة مدير تنفيذي آو ناطق رسمي باسم من هم في السلطة- الدولة والجيش والحزب الواحد- وعليه يمكن وصف المثقف من هذا الطراز على انه ينشط كأي موظف آخر بالمؤسسات الأخرى أو كما عبر عنه **عبد القادر جغلول** وهو يتكلم عن المثقف بصفة عامة : أنه مثقف موظف أي وكيل للدولة أو ما يمكن تسميته بوكيل التنمية. ومن جهة أخرى، على المستوى الاجتماعي والاقتصادي كان الهدف يتجه إلى إضفاء الشرعية على تحديث البلد وفق سياسة الصناعات المصنعة لاحقا من أجل تنمية المجتمع الجزائري وبالتالي على علماء الاجتماع التخلص من عقدة الماضي والتحولات التي أحدثها المستعمر الفرنسي أو الحد منها على الأقل، ولهذا نجد أن مواضيع المحبذة للتدريس والبحث آنذاك كانت تتعلق بمسائل ترتبط بالتنمية المحلية.

لو نلقي نظرة على مواضيع البحث في علم الاجتماع فكانت تنصب على مايلي: الثورة الزراعية، الصناعات المصنعة، نقل التكنلوجيا ، التسيير الاشتراكي للعمال ، النقابة العمالية، العمل والعمال..الخ.

نلاحظ التركيز البالغ على القطاع الزراعي منذ الاستقلال أي تجربة التسيير الذاتي والثورة الزراعية- قبل الانتقال إلى سياسة الصناعات المصنعة بعد 1965م- على حساب القطاعات الأخرى وخاصة القطاع الصناعي الظاهرة التي لاحظها **جون بيناف** إذ قال : توجهت منذ الاستقلال التحقيقات في العلوم الاجتماعية إلى الجزائر الريفية والعمال الزراعيين ولم تجلب الصناعة إلا القلة القليلة من الباحثين للقيام بالتحقيقات الميدانية. كان منطقيا البدء بما هو موجود، لقد ظن المسؤولون أن القطاع الصناعي سهل التحكم فيه مقارنة مع القطاع الزراعي، إذ أن المشاريع الصناعية ما هي إلا بناءات مضافة إلى وسائل وقوة العمل.

كان الحديث يدور حول بنية المجتمع الجزائري بين طبقة شغيلة، مضطهدة كادحة ، وبرجوازية صغيرة ومتوسطة ولكن في آن واحد رفض الصراع الطبقي بحجة الاستفادة من التكامل الوطني يفسر بتأسيس جهاز مراقبة سياسية قصد توقع والتحكم في أي شكل من أشكال الاحتجاج المنبثق من المجتمع المدني.

**2- ممارسة السوسيولوجيا على المستوى الأكاديمي:**

في بداية الستينات استطاع علم الاجتماع أن يستقل كفرع ضمن العلوم الإنسانية وكان يشترط على الطالب الذي يحضر شهادة الليسانس في هذا الفرع: أن يتحصل على أربع شهادات في المرحلة التحضيرية وهي: شهادة علم الاجتماع العام، شهادة الاقتصاد السياسي، وشهادة علم النفس الاجتماعي. وهي شهادات إجبارية وللحصول على شهادة الليسانس كان على الطالب أن يختار ما بين الديموغرافيا أوالاثنولوجيا. هذا من جهة ومن جهة أخرى ولغرض الحصول على ليسانس في علم الاجتماع كان من الضروري الحصول على شهادة الدراسات الأدبية العامة التي كانت تلعب دور الجذع المشترك.

تذكرنا **كلودين شولي** بأن عدد الأساتذة في ستينيات القرن الماضي كان قليلا جدا مع أن الدروس كانت مضمونة من طرف المتعاونين الأوربيين ذوي الاتجاهات الفرنكفونية مع بعض المعربين أغلبهم ينحدرون من الجزائر الثورية.

احتك جيل سنوات الستينات بالمدرسة السوسيولوجية النقدية الفرنسية التي نبتت في التربة الاجتماعية الجزائرية ومن أشهر هؤلاء الرواد **بيار بورديو** الذي نشر أول كتاب له تحت عنوان سوسيولوجية الجزائر-1958م، جاء ثمرة لمحاولة تأسيس المعرفة السوسيولوجية في جامعة الجزائر و في بداية الخمسينات-1952م- كانت تدرس مادة علم الاجتماع لنيل إحدى شهادات الفلسفة، ويفسر هذا أن جيل سنوات الستينات كانوا من ذوي خلفية التكوين الفلسفي وعندما أخذت الاستقلالية عن الفلسفة في بداية السبعينات كان نشاطهم البحثي على علاقة مباشرة مع الجمعية الجزائرية للبحث في الديمغرافيا والاقتصاد وعلم الاجتماع التي أسسها **بورديو** رفقة **عبد المالك صياد**.

بينما كان أغلب الطلبة من أصول حضرية ومن الشرائح الاجتماعية المتوسطة والدنيا يقطنون المدن الكبرى في الشمال وهم عموما من ذوي لغة وثقافة فرنسية .

كان محتوى التدريس باللغة الفرنسية موجها بالدرجة الأولى إلى رواد علم الاجتماع الأوائل على رأسهم كارل ماركس ودوركايم وأوجست كونت وماكس فيبر .

أما علم مستوى انتشار علم الاجتماع في الجامعة الجزائرية فقد كان بطيئا و محتشما، فقد فتح معهد علم الاجتماع في جامعة وهران – التي تأسست سنة 1963– سنة 1967، و في جامعة قسنطينة – التي تأسست سنة 1969 – سنة 1971 ، أي مع الإصلاح الجامعي ، و بقي تدريس السوسيولوجيا مستمرا على المنوال الفرنسي حتى منتصف السبعينات

لقد أوكلت مهام إدارة الفرع في جامعة الجزائر إلى السيدة **رامنو كليمونس** بعد انتدابها من كلية الآداب والعلوم الفرنسية وذلك لغاية 1963 .ليخلف منصبها الأستاذ **إميل سيكار** من جامعة نونتار الفرنسية حتى سنة 1967م.و بعد مغادرة سيكار لفرع علم الاجتماع أوكلت إدارته إلى الأستاذ **فاروق بن عطية** منذ سنة 1969 حيث يعتبر أول أستاذ جزائري يدير فرع علم الاجتماع، ليتركه بعد سنتين نتيجة العديد من المشاكل التي كان يعيشها الفرع والمتمثلة في التناحرات ما بين المشتغلين على حساب العلم والمعرفة. وطغيان المصالح الشخصية وفرض القرارات ورفض كل المبادرات و بعدها يصبح الأستاذ **عبد الرحمان بوزيدة** رئيسا الفرع في الفترة ما بين 1970/1971م.

إن عدم الاستقرار في إدارة الفرع جعل هذا الأخير يعيش اضطرابات وفوضى كبيرة في التسيير، ما أثر سلبا على أعمال الطلبة. بحيث أن عدد الرسائل التي تمت مناقشتها في هذه الفترة لم تتعدى ال56 رسالة. تميزت هذه الفترة بالزيارات العلمية التي كان يقوم بها العديد من علماء الاجتماع الفرنسيين إلى الجزائر مثل: بورديو والذي كان يشرف على طلبة الدراسات المعمقة والدكتوراه من الدرجة الثالثة. لقد أثر عدم انتظام حضور بورديو إلى الجزائر رسميا على عدم إتمام الطلبة لمشاريع بحوثهم في الآجال القانونية.

لم يستمر نظام التعليم العالي في الجزائر وهو تابع في لمحتوى البرامج التكوينية له من المجتمع الفرنسي بحيث أصبح ينظر إليه وكأنه نظام تجاوزه الزمن خاصة بعد تسطير البرنامج التنموي للمجتمع الجزائري في الفترة البومديينية فقرر المختصون إعداد برنامج لإصلاح نظام التعليم العالي منذ 1971م.

**ملاحظة: يمكن التوسع أكثر بالرجوع إلى المراجع الآتية:**

1- جمال معتوق: علم الاجتماع في الجزائر-من النشأة إلى يومنا هذا، دون دار النشر، ط1، 2006م.

2- عباسي نعمان: قراءة في تاريخ علم الاجتماع في الجزائر،في موقع academia.edu/35886204

أطلع عليه يوم 5/1/2025م.

3- Kamel Chachoua. La sociologie en Algérie : l’histoire d’une discipline sans histoire. Eberhard Kienle. Les sciences sociales en voyage. L’Afrique du Nord et le Moyen Orient vus d’Europe, d’Amérique et de l’intérieur„ Karthala, pp.135-155, 2021, 9782811103330. ffhal-03472960f.

4-Madoui Mohamed : les sciences sociales en Algérie-regards sur les usages de la sociologie- revue sociologies pratiques, n° 15, 2007/02.

5-عمروني بهجة: مكانة علم الاجتماع في الجزائر: أزمة الهوية عند السوسيولوجيين المهنيين،أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه علوم تخصص علم الاجتماع التربوي،قسم علم الاجتماع، جامعة الجزائر ،2012/2013م.

6- الزوبير عروس:مدخل في تاريخ الممارسة السوسيولوجية وواقعها-المدرسة الجزائرية أنموذجا في كتاب جماعي مستقبل العلوم الاجتماعية في الوطن العربي،تحرير وتقديم ساري حنفي ونورية بن غبريط رمعون ومجاهدي مصطفى، مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت،.2014

7- بشير محمد: مقدمة في علم الاجتماع العام من خلال فكر غي روشيه-تقديم وحوصلة تركيبية مع أمثلة مرفقة بدراسات-، دار كنوز للنشر والتوزيع ،الجزائر، الطبعة الأولى ،2009م.